أثر الاتساع في التوجيه الدلالي في المعجم العربي

لسان العرب أنموذجاً

أ. م. د نجاح فاهم صابر العبيدي

الباحث علاء صاحب حمادي تكّي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص

شكّل الاتساع معلماً بارزاً في معجم لسان العرب ، ترك فيه أثراً انعكس في ضوء التركيز على كل ما يقدم خدمة للمتكلم من خلال التسهيل في النطق و التخفيف على اللسان ، و ابتعد عن آلية التركيب ، و اتصل بما يتعلق بالمفردة عينها ؛ إذ لا يلمح مطالع اللسان أثراً يذكر للظواهر الاتساعية ذات السمات التركيبية كالتنغيم و التقديم و التأخير ، في الوقت نفسه الذي يجد فيه الظواهر الاتساعية ذات السمة الإفرادية قد تسيدت في ذلك المعجم ؛ كالإبدال والإدغام و القلب المكاني و التضمين و العلاقات الدلالية ، هذا الأثر الذي تركه الاتساع لم يقتصر على المتكلم وحده بل شمل السامع بالمرتبة الثانية ، وحلت العناية بجمال الرسالة اللغوية في المرتبة الأخيرة من جهة عناية المعجمي و المعجم.

لقد حاول هذا البحث الوقوف على مصطلح الاتساع و أنماط وروده و أشكال ظهوره، ومن ثم الأثر الذي يتركه هذا المصطلح في المعجم في ضوء بيانه على أطراف عملية الاتصال اللغوي ؛ المتكلم و الرسالة اللغوية و السامع ، وتوصل في نهاية المطاف إلى أنّ لسان العرب ـ ومن خلفه المعجم العربي بصورة عامة ـ نصوص توصيلية تخلو من السمة الجمالية التي تجعل من المتكلم هدفها الأول من خلال كلّ ما له صلة بوسائل التخفيف و آليات التيسير.

يرجع الاتساع إلى الجذر المعجمي (وسع) و (الواو والسين و العين: كلمةٌ تدل على خلاف الضيق و العُسْر)[١] أما في الاصطلاح فقد تناوب أكثر من علم من علوم العربية على وضع حدّ لهذا المصطلح، فهو في اصطلاح علم النحو: (ما يمكن من تخيّر صياغة تركيب موجز يؤدي معنى مطلوباً و يصل المخاطب واضحاً دون لبس باستثمار إمكانية حذف عدد الأدوات و الكلمات و إمكانية تغير وظيفتها النحوية)[٢] ، و هو في اصطلاح علماء البلاغة: (أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ و قوته و اتساع المعنى)[٣] ، أما في اصطلاح فقه اللغة و علم الدلالة فيعني: (توسيع معنى اللفظ و مفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى اعم و اشمل)[٤]. ومن دون شك فإنّ في تنوع التعريفات التي حدّت الاتساع في العلوم اللغوية المختلفة دلالة على الحيز الكبير الذي شغله الاتساع في العربية ، هذا الأمر لا يقتصر على العلوم اللغوية المختلفة بل يتسع ليشمل المستويات اللغوية المشكلة للغة ، فالاتساع (يفتح باب التجوز في النظام اللغوي و يمنع ذلك النظام من أن يتحجر بالشكل الذي يقف عائقاً أمام تطور اللغة بما يواكب مسيرة المجتمع)[٥] ، و نحن إذا اتجهنا صوب المعجم وجدنا ظاهرة الاتساع متكررة بصورة ملحوظة ، سواء كان ذلك من ناحية ذكر المصطلحات المرادفة لمصطلح الاتساع ، مثل مصطلح(تسمّح)، إذ ورد في لسان العرب في مسالة كتابة عهود الرق: (قال محمد بن المكرم: قوله الخِبْثة في الرقيق أن لا يكون طيب الأصل كأنه حر الأصل فيه تسمح في اللفظ ، وهو إذا كان حر الأصل كان طيب الأصل)[٦] ، أو مصطلح (تطوع) ، نحو ما ورد في اللسان: (أمس الدابرُ و أمسِ المدبرُ ، و هذا من التطوع المشامّ للتأكيد لان اليوم إذا قيل فيه أمس فمعلوم انه دَبَرَ ولكنه أكده بقوله الدابر)[٧] ، أم ذكر مصطلح الاتساع أو احد الاشتقاقات التي تنتمي للجذر اللغوي نفسه التي دارت بمجملها حول الدلالة على أربعة أمور ؛ هي:

١. الاتساع باسم العين: حد النحاة الظرف بأنه (زمان أو مكان ضمن معنى في الظرفية باطراد أو اسم عرضت دلالته على احدهما ، أو اسم جارٍ مجراه)[٨] و إذا وضّح النحاة حدود النوعين الأولين فإنهم لم يقفوا عند النوع الثالث ، يقول الدكتور فاضل السامرائي: (و يقصدون. . . بالاسم الجاري مجراه ألفاظاً مسموعةً توسعوا فيها نحو (أحقاً انك ذاهب) فحقاً هنا جارية مجرى الظرف عند الجمهور)[٩]. ومن ثَمَّ يكون اسم العين هو اللفظ المسموع و الاتساع فيه هو ما كنّا نعني بالعنوان الذي صدرنا به فيكون اسم العين ، اسمًا لا يدل على الظرفية مطلقاً يؤتى به في تراكيب مخصوصة يؤدي فيها الحذف وظيفةً حاسمةً ذات تأثير إعرابي هو النصب ، و من شواهده الواردة في لسان العرب: (و العرب تقول لا آتيك هُبَيْرَةَ بنَ سَعْدٍ أي حتى يؤوب هُبَيْرَةُ ، فأقاموا هُبَيْرَةَ مقام الدَّهْرِ و نصبوه على الظرف و هذا منهم اتساع

)[١٠] إذ نجد هبيرة و هو اسم لشخص قد نصب على الظرفية بعد حذف الظرف الرئيسي فكانت نتيجة هذا الحذف أن اكتسب هبيرة طاقة ظرفية مكنته من الدلالة على الزمان الطويل كان لهذه الطاقة الظرفية تأثيراً شكلياً تمثّل في نصب هبيرة على الظرف ، و من أمثلته أيضاً (و لا آتيك القارِظَ العَنَزِيّ، أي لا آتيك ما غابَ القارِظُ العَنَزِيُّ ، فأقام القارِظَ العَنَزِيّ مقام الدهر و نصبه على الظرف و هذا منهم اتساع و له نظائر)[١١].

٢. الاتساع عن طريق المجاز: شكل المجاز مظهراً مهما من مظاهر الاتساع في لسان العرب ، و في هذا الباب يمكننا لمح طريقتين لورود مصطلح المجاز: ـ

أ- أحداهما: ورود مصطلح الاتساع مع مصطلح المجاز ، نحو: (و في الحديث: أنه نهى عن بيع المجر و هو ما في البطون كنهيه عن الملاقيح ، و يجوز أن يكون سمي بيع المجر مجراً اتساعاً و مجازاً)[١٢] ، إذ يلحظ من المثال السابق اقتران الاتساع بالمجاز بوساطة واو العطف بوصفه واحداً من الثنائيات المتعاطفة التي تكون الواو فيها إما دالةً على (عطف نسق و تشابه يسوي بين التوسع و مختلف هذه المظاهر و لا يشير إلا إلى تواجدها على نفس الدرجة ، و يكون التوسع تبعاً لذلك مجرد أسلوب من جملة أساليب مما يحد من أهميته كمصطلح مركزي أو عطف بيان يحل المفسَّر في المفسِّر و يربط النتيجة بسببها، فتتدرج تبعاً لذلك تلك المصطلحات ضمن الاتساع ، و تكون بمثابة الأشعة المنطلقة عن ذلك المركز)[١٣]، فعلى هذا يكون المجاز هو الأشعة المنطلقة عن مركز الاتساع ، لا المرادف له ، و من أمثلته أيضاً ورود الاتساع مقروناً بالاستعارة التي هي نوع من المجاز ، نحو قول اللسان تعليقاً على قول ذي الرمّة[١٤]:

ألا طَرَقَتْ مَيُّ هَيُوماً بِذِكْرِها و أيْدِي الثُّرَيا جُنَّحُ في

(استعارة و اتساع ، وذلك أن اليد إذا مالت نحو الشيء و دنت إليه دلّت على قربها منه و دنوّها نحوه ، إنما أراد قرب الثريا من المغرب لأفولها فجعل لها أيدياً جنحّاً نحوها)[١٥].

ب- و الأخرى: ورود مصطلح الاتساع مفرداً يراد به المجاز نحو قول (ابن الأعرابي: سميت النعال المدبوغة سِبِتيَّة ، لأنها انْسَبَتَتْ بالدباغ أي لانَت ، و في تسمية النعال المُتخذَة من السبْتِ سبْتاً اتساعٌ)[١٦].

٣. الاتساع عن طريق الحذف: ورد الحذف بوصفه دلاً على الاتساع في لسان العرب بشكل الثنائيات المتعاطفة مع الاتساع ومن أمثلته :

ٹٱٹٹٱ نر نز نم نن ىٰ ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ّ

(يوسف ١٢: ٨٢)؛ قال سيبويه: إنما جاء على اتساع الكلام و الاختصار و إنما يريد أهل القرية فاختصر و عَمِل عَمَل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ههنا)[١٧] إذ يفترض نظام اللغة في الآية المباركة ورود الجملة بهذا الشكل ليؤدي معنىً لا يمكن تأديته إلا في ضوء هذا التركيب ، ألا و هو مبالغة أبناء يعقوب لأبيهم في إثبات صدق ما زعموه بشأن أخيهم فكان السؤال موجهاً للقرية لا مجرد أهلها القاطنين فيها ، هذا الأمر لم يتم إلا في ضوء الاتساع بحذف المضاف إليه لينسجم و الحالة النفسية للمتكلم.

٤. الاتساع عن طريق المصدر المجعول حيناً: ورد هذا النوع من الاتساع عند سيبويه في كتابه الذي افرد فيه باباً بعنوان (هذا باب ما يكون فيه المصدر حيناً لسعة الكلام و الاختصار)[١٨] و يعني مصادر مخصوصة تنتقل من الدلالة على الحدثيّة إلى الدلالة على الزمان انتقالاً مسوغاً بفهم المخاطب و الإيجاز و الاختصار ، ومن أمثلته في لسان العرب: (و فُواق الناقة و فَواقها رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها. يقال تنتظره فواق ناقة ، و أقام فواق ناقة جعلوه ظرفاً على السعة)[١٩] ، و الملاحظ في هذا النوع من الاتساع انتقال المصادر للدلالة على الظرفية الزمانية ، و هو الأمر الذي علله الشيخ الأزهري (٩٠٥ هـ) بقوله: (و إنما كان ذلك كثيراً في ظروف الزمان و قليلاً في ظروف المكان؛ لقرب ظروف الزمان من المصدر و بعد ظروف المكان منه ، ألا ترى أن الزمان يشارك المصدر في دلالة الفعل عليهما لان الفعل يدل على المصدر بحروفه ، وعلى الزمان بصيغته ، بخلاف ظرف المكان فان دلالة الفعل عليها بالالتزام الخارجي ، إذ كل فعل لابد له من مكان يقع فيه ، فلم يقو في ذلك قوة ظرف الزمان و لم يبلغ رتبته فكانت إقامة المصدر مقام الزمان كثيرة ، ومقام المكان قليلة)[٢٠].

إن الأثر الذي يخلفه الاتساع في المعجم العربي لا يقتصر بحال من الأحوال على النص اللغوي فقط بل إننا نجد هذا الأثر يمتد ليطال أطراف العملية الاتصالية الرئيسية أعني بها؛ المرسل ، الرسالة ، المرسل إليه ، بل إننا إذا ما قارنا أثر الاتساع بالنسبة لهذه الأطراف الثلاثة وجدناه يتركز على المرسل في المقام الأول بينما نجد جمالية الرسالة (النص المعجمي) تأتي في المرتبة الأخيرة بعد المرسل و المرسل إليه ، و فيما يأتي بيان لأثر الاتساع في المعجم في ضوء دراسة تأثيره في عناصر الاتصال اللغوي الرئيسية:

١. أثر الاتساع بالنسبة للمرسل:

أ- السهولة و التيسير و التخفيف: إنّ الكلام بوصفه مجهوداً فردياً يُعَدُّ من أكثر الآليات التي يستعملها الفرد في حياته اليومية ، ومن ثَمَّ فإنّ هذا الفرد يميل إلى كل ما يسهل عليه استعمال هذه الآلية المعقدة ،

فيتهيأ لها التعبير عن أكثر المعاني التي تدور في ذهنه بأقل مجهود مبذول في ذلك التعبير ، بما يصب بصورة مباشرة في تطور تلك اللغة عبر الأجيال وهو ما يعرف بقانون الجهد الأقل، و يُقصَد به (تحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد)[٢١] ، هذا القانون الذي يقدم تفسيرات منطقية لقسم كبير من التطورات التي يمكن أن ننسب إليها الاتساع في المستوى الصوتي و الصرفي من اللغة ، هذه الوظيفة وردت تحت مسمى التخفيف و التيسير في لسان العرب ، الذي ظهر بمظاهر متنوعة تعلقت اغلبها بالمستوى الصوتي كان منها الحذف الذي شكل اغلب مظاهر التخفيف في اللسان ، نحو: (تمّم الرجلُ إذا صار تميمي الرأي و الهوى والمحلة. قال أبو منصور: وقياس ما جاء في هذا الباب تَتَمَّم بتاءين كما يقال تمضَر و تنزَّر، و كأنهم حذفوا إحدى التاءين استقالاً للجمع بينهما)[٢٢] ، أو الإبدال ، نحو (و السُّرِّيَّةُ الجارية المتخذة للملك و الجماع ، فُعْلِيَّة منه تغير النسب ، قيل هي فُعُّولَة من السروِ و قلبت الواو الأخيرة ياء طلب الخِفَّة. . .)[٢٣] أو تسهيل الهمزة ، نحو:(قال ابن الأعرابي تأرة مهموز فلما كثر استعمالهم لها تركوا همزها)[٢٤] أو الإدغام ، نحو: (و اذتخر يذتخر فهو مذتخر ، لما أرادوا أن يدغموا ليخف النطق قلبوا التاء إلى ما يقاربها من الحروف. . .)[٢٥].

ب- مراعاة الحالة النفسية: إن حياة الإنسان في تقلب مستمر ينتج عن هذه التقلبات انفعالات شتى ، لا تختلف من جهة نوع تلك الانفعالات وحسب بل تختلف من جهة شدتها أيضاً ، في ظل هذه الانفعالات المتنوعة يصبح الكلام بابًا سهلا يلوذ إليه المتكلم لينفس عن مكبوتاته في ضوء التعبير ، هنا يأتي دور الاتساع في أداء هذه الوظيفة إذ (لا شك أن أي موقف فكري أو عاطفي يأخذ طريقه إلى التعبير بما يؤكد فردية صاحبه ، ويمكن اعتباره وسيلة إسقاط تكشف عن طبيعة صاحبها و شخصيته الظاهرة أو الباطنة)[٢٦] و نحن إن وجهنا أنظارنا نحو لسان العرب لا نجده يعدم مثل هذه الوظيفة التي ظهرت في صورتين تمثلت إحداهما في استعمال أفعال ذات مخزون نفسي تؤدي وظيفة الإراحة النفسية للمتكلم ، نحو الفعل (كرهوا) ، مثل: (و ضِيزى ، فُعْلى وان رأيت أولها مكسوراً و هي مثل بيضٍ و عينٍ ، و كان أولها مضموماً فكرهوا أن يترك على ضمته فيقال بوضٌ و عونٌ و الواحدة منها بيضاء و عيناء ، فكسروا الباء لتكون بالياء و يتآلف الجمع و الاثنان و الواحدة)[٢٧] ، إذ لا يوجد سبب في انحراف المتكلم في كلمة ضيزى عن الأصل في كون نعوت المؤنث تكون على وزن (فُعْلى). ك(حُبْلى)و (فَعْلى) ، ك(سَكْرى)في جعل هذا النعت بزنة (فِعْلى) ك(ذِكرى)أسوة بالأسماء الخالية من الوصفية غير كون المتكلم يكره نطق ضيزى على أصلها بالواو ، و لعمري إن تصريح اللسان بالفعل كرهوا يدل دلالة قاطعة على سبب الخروج عن الأصل في المثال السابق الذي يمت إلى نفس المتكلم و التنفيس عن انفعالاته.

بينما تمثلت الأخرى باستعمال مصطلحات تدل على مراعاة الحالة النفسية للمتكلم و المخاطب على السواء اندرجت هذه المصطلحات تحت بابين رئيسيين:

- الخوف من الحسد: إذ يفر المتكلم من وصف الأشياء الجميلة إلى ذكر ما يناقضها خوفا من الحسد و الإصابة بالعين). [٢٨]، نحو (و كلام مخز يستحسن فيقال لصاحبه أخزاه الله. . . وإنما يقولون هذا و شبهه بدل المدح ليكون له واقيا من العين و المراد من كل ذلك الدعاء له لا عليه)[٢٩].
- التفاؤل: (إن غريزة التفاؤل و التشاؤم من غرائز الإنسان التي تسيطر علي عاداته في التعبير إلى حد كبير. فإذا شاء التعبير عن معنى سيء، تشاؤم[كذا][٣٠] من ذكر الكلمة الخاصة به ، و فر منها إلى غيرها)[٣١] و ما دام التفاؤل غريزةً فانّه يعدّ وسيلة مثلى لمراعاة الحالة النفسية ، و من أمثلته في اللسان ، (و الدمل: واحد دمامل القروح. و الدمل: الخراج على التفاؤل بالصلاح)[٣٢] ، ولا شك في أنّ مقصد التأدب يؤدي دوراً مهماً في إراحة نفس المتكلم و السامع و مراعاتهما.

المبالغة : و هي من أشكال التعبير بوصفها (محاولة يلجأ إليها المتكلم حتى يكون تعبيره بالغاً غايته بشيء من التأثير المقابل و التأكيد على المقصود)[٣٣] إذ تعمل المبالغة على (خلق علاقات جديدة غير مألوفة بين الكلمات بإتباع المجاز لأجل تصوير ذلك الانفعال)[٣٤] حتى عُدَّت المبالغة شكلاً من أشكال تغير المعنى في المستوى الدلالي[٣٥] ، و المبالغة في لسان العرب وردت بأشكال متنوعة ، يمكننا توزيعها على المستويات اللغوية ، فمن أمثلة المبالغة في المستوى الصوتي زيادة صوت في الكلمة لزيادة المبالغة ، نحو: (وفي حديث ابن عمير: لقارص قمارص يقطر منه البول ، القمارص الشديد القرص ، بزيادة الميم أراد اللبن الذي يقرص اللسان من حموضته و القمارص تأكيد له ، و الميم زائدة)[٣٦] ، إذ لولا الاتساع بزيادة الميم لما كان للمتكلم فرصة في التعبير عن المبالغة في شدة قرص اللبن لحموضته. و من أمثلة الاتساع الذي يؤدي وظيفة المبالغة في المستوى الصوتي ، الاتساع عن طريق زيادة اللاحقة (الهاء) على الصيغة لزيادة المبالغة و أمثلته أكثر من أن تحصر في اللسان ، نحو (و رجل خائن و خائنة أيضاً ، و الهاء للمبالغة ، مثل علامة و نسابة)[٣٧]. و من أمثلة الاتساع في المستوى النحوي ، الوصف بالمصدر الذي يعدّ واحداً من اشهر أشكال الاتساع و أقدمها التي رُصدَت في كتاب سيبويه (١٨٠ هـ) و من أمثلتها في لسان العرب (و ليس لقائلٍ أن يدعي أن تِلِعَّابة و تِلِقَّامة في الأصل المرة الواحدة ، ثم وصف به كما يقال ذلك في المصدر ، نحو قوله تعالى: ﴿ بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ﴾ (الملك ٦٧: ٣٠) أي غائراً ، و نحو قوله فإنما هي إقبال و إدبار؛ من قبل أن من وصف بالمصدر ، فقال هذا رجل زور و صوم و نحو ذلك ، فإنما صار ذلك له ، لأنه أراد المبالغة ، و يجعله هو نفس الحدث لكثرة ذلك منه)[٣٨] إذ إن للاتساع أثراً لا تنكر في حدوث مثل هذه المبالغة في ضوء تحويل المحسوس إلى المجرد عن طريق

وصفه بالمصدر ، و من أمثلة المبالغة في ضوء الاتساع ما يسلكه المجاز في توليد عبارات مثل (هو سعيد بشكل مخيف)[٣٩]

ومن أمثلته في اللسان ما ورد تعليقا على قول البعيث [٤٠]:

ألا أصْـبَحَتْ أسـماءُ جاذمـة و ضَـنَّتْ علينـا و الضَّـنينُ مـن

(أراد الضنين مخلوق من البخل، كقولهم مجبول من الكرم ، و مطين من الخير ، و هو مخلوق من البخل ، كل ذلك على المجاز لان المرأة جوهر و البخل عرض و الجوهر لا يكون من العرض ، و إنما أراد تمكين البخل فيها حتى كأنها مخلوقة منه)[٤١] إذ لا يخفى أثر الاتساع بالمجاز في حدوث مثل هذه المبالغة من خلال التأثير في نسيج التركيب الطبيعي ليخرج إلينا بعلاقات غريبة تمثلت في خلق المحسوس من المجرد.

٢. أثر الاتساع بالنسبة للرسالة:

يتفق اللغويون على وجود مستويين فنيين للغة يتفقان مع القسمين الكبيرين للحياة حسب التقسيم التقليدي[٤٢]:

أ- الوظيفة النفعية للغة المكتوبة.

ب- الوظيفة العاطفية التي يراد بها التأثير الفعال في المتلقي.

إن وظيفة الاتساع بالنسبة للرسالة اللغوية تتمثل في تفعيل الوظيفة الفنية (العاطفية) من خلال انعدام المرجع في الرسالة اللغوية فهي لا تؤكد عليه أبداً؛ إذ إنها (كالزجاج السميك (المحجر) التي تظهر المرجع خلفها ، ولكن بطريقة غائمة إذ ليس المرجع هو المقصود بل جمال الرسالة بحد ذاتها)[٤٣] إن تفعيل الوظيفة الفنية في المعجم لهو أمر يكاد يكون منعدما ، و إن وجد فهو موجود بندرة في المواضع التي سنشير إليها. هذا الأمر يعكس بوضوح الجانب التوصيلي النفعي في المعجم إذ نجده يركز على المرسل لا على الرسالة، ربما كان هذا الأمر هو السر الكامن وراء عدم اهتمام القارئ المعجم بإتمام قراءته كاملاً ، فيكتفي بما كان له صلة بموضوع بحثه. من الجوانب التي نجد فيها المعجم يركز على عنصر الرسالة؛ تشكيل المجردات المعقولة نتيجة قوة إحساس المرسل ببيئته ، حتى تغدو أجساماً مرئية و هو ما يعرف بالتجسيم[٤٤] ، وردت هذه التجسيدات غير مرة في لسان العرب سالكة مسلك الاستعارة ، على نحو ما نجد فيه: (و في حيث عمر: انه أراد أن يدخل الشام و هو يستعر طاعونا؛ استعارَ استِعارَ النار لشدة الطاعون يريد كثرته و شدة تأثيره)[٤٥] إذ يمكننا أن نلحظ تحوّل المجرد و هو شدة وطأة المرض و انتشاره إلى محسوس من خلال اللجوء إلى تجسيده بالنار المستعرة التي تأتي على كل شيء ، هذا الأمر كان له أثره البارز في إعطاء الرسالة مزيداً من الجمالية ، و من تلك الجوانب أيضاً توفير أرضية واسعة أمام المتكلم ينطلق منها في اختيار ما يشاء

بما يتناسب و انفعالاته النفسية ، و يرضي شعوره و يعبر عنه اصدق تعبير و كل ذلك يتم في ضوء أسلوب التقديم و التأخير الذي يؤثر في زيادة جمالية الرسالة من خلال الحركة الداخلية بين الدوال المشكلة لها فـ(أي تغيُّر في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغير الدلالة و انتقالها إلى مستوى آخر)[٤٦] و من أمثلته في اللسان: (قال أبو حاتم: و قرأت غريب القران على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله:ﱡ ژ ى ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ﱠ (يوسف ١٢: ٢٤) قال أبو عبيدة: هذا على التقديم و التأخير كأنه أراد: و لقد همت به، و لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها)[٤٧] لاشك في أن التقديم و التأخير تستلزم حركية الدوال داخل الرسالة و هو أمر يؤثر إيجاباً في ارتقاء النص إلى المستوى الفني عندما يقوم المتكلم بتحميل الرسالة بدلالة تتوهج عن طريق قلب حركة الإسناد لإلفات النظر إليها.

٣. أثر الاتساع بالنسبة للمرسل إليه:

يُعدّ المرسل إليه مركزاً هاماً في أية عملية تواصلية بنص لغوي لكونه الجزء الذي يخرج ذلك النص إلى حيز الوجود ، إذ إنه الهدف من وراء الرسالة سواء كانت مقروءة أو ملفوظة هذا الهدف يتمثل في إثارة رد فعله ، لأن (الملفوظ يظل موجوداً بالقوة سواء أفرزته الذات المنشئة له أم دفنته في بواطن اللا ملفوظ ، و لا يخرجه إلى حيز الفعل إلا متلقيه)[٤٨]، إن إثارة رد فعل المتلقي تستلزم أولاً التأثير فيه و الحديث عن التأثير يجرنا للحديث عن جزئي المعادلة المشكلة لهذه الفكرة ، هذان الجزءان يعملان بموجب(مبدأ تكامل الأضداد)[٤٩]، و يؤدي الاتساع دوراً كبيراً في كلٍّ من هذين الجزأين:

أ- دفع التشبع (نبذ التكرير): إذ إن التشبع كما يوضحه ميكائيل ريفاتير (عملية تكرارية تتناسب بشكل عكسي مع روعة و جمال الخطاب)[٥٠] فالتشبع هو ما يتكون عند المرسل إليه نتيجة تكرار نمط معين في الرسالة اللغوية ، وهو أمر يفقدها طاقتها الافهامية لتتحول إلى شكل خارجي أجوف لا تأثير له، و إذا يممنا صوب لسان العرب وجدنا هذه الوظيفة قد نالت العناية فيه ، هذه العناية نلمسها في ضوء التنظير نحو: (ويجوز تكرر الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد كما يقال فلان جادٌّ مجدٌّ)[٥١] و التطبيق ، نحو ما ورد في اللسان تعليقاً على أبي حنيفة (ومن العقبان عقبان تسمى عقبان الجرذان. . .)[٥٢] ، (و حسن تكراره لاختلاف اللفظين)[٥٣] ، ومن ابرز أشكال نبذ التكرير في لسان العرب إبدال أصوات الكلمة بدل بعض نحو ما نجد ففي اللسان (قال ابن سيدة: و أبصع نعت تابع لأكتع و إنما جاؤوا بأبصع و أكتع و أبتع إتباعاً لأجمع لأنهم عدلوا عن إعادة جميع حروف الكلمة إلى إعادة بعضها ، و هو العين تحامياً من الإطالة بتكرير الحروف كلها)[٥٤] إذ إن إرادة دفع التشبع كانت في عدم تكرار ألفاظ التوكيد المعنوي بعينها ، يضاف إلى ذلك التكرار ، التطويل الناتج عن تكرار المفردة نفسها أربع مرات ، فكانت النتيجة إن عمد المرسل إلى تغير عين الكلمة للتخلص من ذلك التكرير و شد

انتباه السامع و إكسابه القدرة على مواصلة وظيفته الافهامية.

المفاجأة: هي (تولد غير المنتظر من المنتظر)[٥٥] و المفاجأة الجزء المتمم لمعادلة التأثير و هي تسير باتجاه يعاكس اتجاه التكرار في الرسالة اللغوية ، إن محاولة الفصل بين المفاجأة و التكرار محاولة تكاد تقتصر على الجانب النظري ، و إذا ما وصلنا إلى حيز التطبيق وجدنا ذلك التزاوج بينهما بشكل يصعب كثيراً معه الفصل بينهما فلا يخلو المثال الذي مثلنا به لدفع التشبع من عنصر المفاجأة و مثله أيضاً ما ورد في اللسان: (و اخضر الشيء اخضراراً و اخضوضر و خضّرته أنا و كل غضٍّ خضر؛ و في التنزيل ﷺ لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ﷻ (الأنعام٦: ٩٩) قال: خضراً ههنا بمعنى أخضر [٥٦] فان السامع يتوقع الصفة (أخضر) بوصفها القياس لكنه يتفاجأ بورود مفردة (خضر) بدلاً عنها هذا الأمر ينعكس إيجاباً على حيوية الرسالة و يسهم بشكل فاعل في جعله يواصل وظيفته الافهامية و هو الأمر الذي يضمن أقصى تأثير للرسالة اللغوية.

ربما كانت هذه ابرز آثار الاتساع في المعجم التي لمسناها في ضوء قراءتنا البسيطة فيه و حسب البحث أن يكون قد وُفِّقَ فيما تناوله منها.

الهوامش

---

[1] مقاييس اللغة : ٦ / ١٠٩

[2] الاتساع في المعنى :٢٩

[3] العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده : ٢/ ١٥٣

[4] فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية :١٩٠

[5] الاتساع في العربية : ٧

[6] لسان العرب :٣ / ٢٩٥٢ (غول)

[7] نفسه: ٢ /١٢٢٢ (دبر)

[8] معاني النحو : ٢ / ١٥٣

[9] نفسه : ٢/ ١٥٣

[10] لسان العرب : ٤ / ٤٠٧٦ (هبر)

[11] نفسه : ٣ / ٣١٩١ (قرظ)

[12] نفسه : ٣٦٦٢/٤ (مجر)

[13] التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره حتى القرن السادس مشروع قراءة: ١٠٢

[14] ديوان ذي الرمة :٣٤

[15] الكتاب:رب:٤ / ٤٣٨٧ (يدي)

[16] نفسه :٢ / ١٧٣٢ (سبت)

[17] نفسه : ٣ / ٣٢١١ (قرا)

[18] الكتاب :١ /٢٢٢

[19] لسان العرب :٣ / ٣٠٩٨ (فوق)

[20] شرح التصريح على التوضيح أو (التصريح بمضمون التوضيح في النحو):١/ ٥١٧

[21] دراسة الصوت اللغوي :٣٧٢

[22] لسان العرب ١ / ٤٤٥ (تمم)

[23] نفسه :٢ / ١٨٠٠ (سرو)

[24] نفسه : ١ /٤٥١ (تور)

[25] نفسه : ٢ / ١٣٧٢ (ذخر)

[26] البلاغة و الأسلوبية :٢٢٨ – ٢٢٩

[27] لسان العرب::٣ / ٢٣٤٤ (ضيز)

[28] ينظر : فصول في فقه العربية :٣٥٠

[29] لسان العرب :١ / ١٠٧٩ (خزا)

[30] الصواب تشاءم.

[٣١] في اللهجات العربية :١٨٠

[٣٢] لسان العرب :٢/ ١٣١٥ (دمل)

[٣٣] الاتساع في اللغة عند ابن جني:٨٥

[٣٤]:فسه :٨٦

[٣٥] ينظر علم الدلالة (احمد مختار عمر) : ٢٤٩-٢٥٠

[٣٦] لسان العرب: ٢٣٣٦/٣ (قرص)

[٣٧] نفسه :١ / ١٢٠١ (خون)

[٣٨] نفسه :٤ / ٣٥٧٦ (لعب)

[٣٩] ينظر علم الدلالة (احمد مختار عمر): ٢٥٠

[٤٠] ورد البيت برواية (خنساء) بدل (أسماء) ، شعر البعيث المجاشعي :١٩

[٤١] لسان العرب ٣ / ٢٣٣٦ (ضنن)

[٤٢] ينظر : بناء لغة الشعر : ٢٠١

[٤٣] الألسنية محاضرات في علم الدلالة :٧٥

[٤٤] ينظر : التصوير الفني في القران : ٦٣

[٤٥] لسان العرب: ٢ / ١٨٢٢ (سعر)

[٤٦] البلاغة و الأسلوبية : ٣٣١

[٤٧] لسان العرب: ٤ / ٤١٦٥(همم)

[٤٨] الأسلوبية و الأسلوب :٦٩

[٤٩] نفسه :٦٨

[٥٠] التواصل اللساني و الشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون : ٤٠

[٥١] لسان العرب : ٢ / ١٤٧٨ (رحم)

[٥٢] نفسه :٣ / ٢٦٩٦ (عقب)

[٥٣] نفسه :٣ /٢٦٩٦ (عقب)

[٥٤] نفسه : ١ / ٣٠٣ (بصع)

[٥٥] التواصل اللساني و الشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون :٤٠

[٥٦] لسان العرب :١١٠٢/١ (خضر)

المصادر و المراجع

١. القران الكريم

٢. الاتساع في العربية، عواطف ياسين علي ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب جامعة البصرة ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٣. الاتساع في اللغة عند ابن جني، حسن سليمان حسين (أطروحة دكتوراه)، قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الموصل، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٤. الاتساع في المعنى ، مقبول بشير علي النعمة ، بدون طبعة ، اربد – الأردن ، عالم الكتاب الحديث ، ٢٠١١م

٥. الأسلوبية و الأسلوب، عبد السلام المسدي، الطبعة الخامسة، بيروت – لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٦م.

٦. الألسنية محاضرات في علم الدلالة ، نسيم عون ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، دار الفارابي ، ٢٠٠٥ م.

٧. البلاغة و الأسلوبية، عبد المطلب، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، مكتبة لبنان – القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٤م.

٨. بناء لغة الشعر ، جون كوين ، ترجمة وتعليق و تقديم احمد درويش ، سلسلة كتابات نقدية

(٣) بدون طبعة ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، مطابع الأهرام ، ١٩٩٠م.

٩. التصوري الفني في القران ، سيد قطب ، بدون طبعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م.

١٠. التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة ، حمادي صمو ، بدون طبعة ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،١٩٨١م.

١١. التواصل اللساني و الشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، الطاهر بومزبر ، الطبعة الأولى ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، بيروت – لبنان الدار العربية للعلوم ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

١٢. دراسة الصوت اللغوي ، احمد مختار عمر ، بدون طبعة ، عالم الكتب ، ١٤٢٥ هـ – ١٩٩٤ م.

١٣. ديوان ذي الرمة ، اعتنى به و شرح غريبه عبد الرحمن الصطاوي ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، دار المعرفة ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١٤. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهري (٩٠٥ هـ) ،تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٥. شعر البعيث المجاشعي ، جمع و تحقيق ناصر رشيد محمد حسين ، بدون طبعة ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١.

١٦. علم الدلالة احمد مختار عمر ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، عالم الكتاب الحديث ، ١٩٩٨م.

١٧. العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ،العربية، الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ، قدم له و شرحه و فهرسه صلاح الدين الهواري – هدى عودة ، بيروت – لبنان ، دار و مكتبة الهلال ، ٢٠٠٢م.

١٨. فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الشركة الدولية للطباعة ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٩. فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية ، محمد مبارك ، بدون طبعة، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م.

٢٠. في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة أبناء وهبة حسان ، بدون تاريخ.

٢١. كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي – الرياض ، دار الرفاعي ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٢٢.لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بم المكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، مراجعة و تدقيق ، يوسف البقاعي – إبراهيم شمس الدين – نضال علي ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٣. معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، شركة العاتك ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٤. مقاييس اللغة ، لأبي الحسين احمد بن زكريا (٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بدون طبعة ، الدار الإسلامية ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.